ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة

ذكر ملك يمين الدولة الري وبلد الجبل

في هذه السنة سار يمين الدولة محمود بن سبكتكين نحو الري، فانصرف منوجهر بن قابوس من بين يديه، وهو: صاحب جرجان وطبرستان، وحمل إليه أربعمائة ألف دينار وأنزالاً كثيرة، وكان مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، صاحب الري، قد كاتبه يشكو إليه جنده، وكان متشاغلاً بالنساء، ومطالعة الكتب ونسخها، وكانت والدته تدبّر مملكته، فلمّا توفيت، طمع جنده فيه، واختلّت أحواله، فحين وصلت كتبه إلى محمود، سيَّر إليه جيشاً، وجعل مقدمهم حاجبه، وأمره أن يقبض على مجد الدولة.

فلمّا وصل العسكر إلى الري، ركب مجد الدولة يلتقيهم، فقبضوا عليه وعلى أبي دلف ولده[1].

فلمّا انتهى الخبر إلى يمين الدولة بالقبض عليه، سار إلى الري، فوصلها في ربيع الآخر ودخلها.

وأخذ من الأموال ألف ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى[2].

وأحضر مجد الدولة، وقال له: أما قرأت شاه نامه؟ ـ وهو تاريخ الفرس، وتاريخ الطبري، وهو تاريخ المسلمين ـ قال: بلى! قال: ما حالك حال من قرأها، أما لعبت بالشطرنج؟ قال: بلى! قال: فهل رأيت شاهاً يدخل على شاه؟ قال: لا، قال: فما حملك على أن سلمت نفسك إلى من هو أقوى منك؟ ثم سيَّره إلى خراسان مقبوضاً، ثم ملك قزوين وقلاعها، ومدينة ساوة وآبه، ويافت، وقبض على صاحبها ولكين بن وندرين،

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٨).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٣).

وسيَّره إلى خراسان.

ولما ملك محمود الري، كتب إلى الخليفة القادر بالله يذكر أنه وجد لمجد الدولة من النساء الحرائر ما يزيد على خمسين امرأة، ولدن له نيفاً وثلاثين ولداً، ولما سئل عن ذلك، قال: هذه عادة سلفي، وصلب من أصحابه الباطنية خلقاً كثيراً، ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم، وأخذ من الكتب ما سوى ذلك مائة حمل، وتحصّن منه منوجهر بن قابوس بن وشمكير بجبال حصينة، وعرة المسالك، فلم يشعر إلاّ وقد أطل عليه يمين الدولة، فهرب منه إلى غياض حصينة، وبذل خمسمائة ألف دينار ليصلحه، فأجابه إلى ذلك، فأرسل المال إليه، فسار عنه إلى نيسابور، ثم توفي منوجهر عقيب ذلك، وولي بعده ابنه أنوشروان[١].

فأقرّه محمود على ولايته، وقرّر عليه خمسمائة ألف دينار أخرى، وخطب لمحمود في أكثر بلاد الجبل إلى حدود أرمينية، وافتتح ابنه مسعود زنجان وأبهر، وخطب له علاء/ ج٧/٣٣٥ط الدولة بأصبهان، وعاد محمود إلى خراسان واستخلف بالري ابنه مسعوداً، فقصد أصبهان، وملكها من علاء الدولة، وعاد عنها، واستخلف بها بعض أصحابه، فثار به أهلها فقتلوه، فعاد إليهم، فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو خمسة آلاف قتيل، وسار إلى الري فأقام بها[٢].

ذكر ما فعله السالار إبراهيم بن المرزبان بعد عود يمين الدولة عن الري

هذا السالار هو: إبراهيم بن المرزبان بن إسماعيل بن وهسوذان بن محمد بن مسافر الديلمي، وكان له من البلاد سرجهان، وزنجان، وأبهر، وشهرزور وغيرها، وهي ما استولى عليها بعد وفاة فخر الدولة بن بويه، فلمّا ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين الري، سيَّر المرزبان بن الحسن بن خراميل ـ وهو من أولاد ملوك الديلم ـ وكان قد التجأ إلى يمين الدولة، فسيَّره إلى بلاد السالار إبراهيم ليملكها، فقصدها واستمال الديلم، فمال إليه بعضهم.

واتفق عود يمين الدولة إلى خراسان، فسار السالار إبراهيم إلى قزوين، وبها عسكر

---

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٨).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٣)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٤/ ٥٧٣)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٦/ ٦٥، ٦٦).

يمين الدولة، فقاتلهم فأكثر القتل فيهم، وهرب الباقون، وأعانه أهل البلد، وسار السالار أيضاً إلى مكان يقرب سرجهان تطيف به الأنهار والجبال، فتحصّن به، فسمع مسعود بن يمين الدولة ـ وهو بالري ـ بما فعل، فسار مجداً إلى السالار، فجرى بينهما وقائع كان الاستظهار فيها للسالار.

ثم إن مسعوداً راسل طائفة من جند السالار، واستمالهم، وأعطاهم الأموال، فمالوا إليه، ودلّوه على عورة السالار، وحملوا طائفة من عسكره في طريق غامضة، حتّى جعلوه من ورائهم، وكبسوا السالار أول رمضان، وقاتله مسعود من بين يديه، وأولئك من خلفه، فاضطرب السالار ومن معه، وانهزموا وطلب كل إنسان منهم مهرباً، واختفى السالار في مكان، فدلّت عليه امرأة سوادية، فأخذه مسعود وحمله إلى سرجهان، وبها ولده، فطلب منه أن يسلمها، فلم يفعل، فعاد عنها وتسلّم باقي قلاعه وبلاده، وأخذ أمواله، وقرّر على ابنه المقيم بسرجهان مالاً، وعلى كل من جاوره من مقدمي الأكراد، وعاد إلى الري[1].

ذكر ملك أبي كاليجار مدينة واسط ومسير جلال الدولة إلى الأهواز ونهبها وعود واسط إليه

في هذه السنة أصعد الملك أبو كاليجار إلى مدينة واسط فملكها، وكان ابتداء ذلك: أن نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد، صاحب الحلّة والنيل ـ ولم تكن الحلّة بنيت ذلك الوقت ـ خطب لأبي كاليجار في أعماله[2].

وسببه: أن أبا حسان المقلّد بن أبي الأغر الحسن بن مزيد كان بينه وبين نور الدولة عداوة، فاجتمع هو ومنيع أمير بني خفاجة، وأرسلا إلى بغداد يبذلان مالاً يتجهّز به العسكر لقتال نور الدولة، فاشتد الأمر على نور الدولة، فخطب لأبي كاليجار، وراسله يطمعه في البلاد.

ثم اتفق أنه ملك البصرة ـ على ما ذكرناه ـ فقوي طمعه، فسار من الأهواز إلى واسط، وبها الملك العزيز بن جلال الدولة، ومعه جمع من الأتراك، ففارقها العزيز وقصد النعمانية، ففجّر عليه نور الدولة البثوق من بلده، فهلك كثير من أثقالهم، وغرق جماعة

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٦٠٤، ٦٠٥).
(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٢).

منهم، وخطب في البطيحة لأبي كاليجار، وورد إليه نور الدولة، وأرسل أبو كاليجار إلى قرواش، صاحب الموصل، وعنده الأثير عنبر، يطلب منه أن ينحدر إلى العراق ليبقى جلال الدولة من الفريقين، فانحدر إلى الكحيل، فمات به الأثير عنبر، ولم ينحدر معه قرواش، وجمع جلال الدولة عساكره، واستنجد أبا الشوك وغيره، وانحدر إلى واسط، ولم يكن بين العسكرين قتال، وتتابعت الأمطار حتى هلكوا، واشتدّ الأمر على جلال الدولة لفقره، وقلّة الأموال، وغيرها عنده، فاستشار/ أصحابه فيما يفعل، فأشاروا أن يقصد الأهواز وينهبها، ويأخذ ما بها من أموال أبي كاليجار وعسكره، فسمع أبو كاليجار ذلك، فاستشار أيضاً أصحابه، فقال بعضهم: ما عدل جلال الدولة عن القتال إلاّ لضعف فيه، والرأي أن تسير إلى العراق، فتأخذ من أموالهم ببغداد أضعاف ما يأخذون منّا، فاتفقوا على ذلك، فأتاهم جاسوس من أبي الشوك يخبر بمجيء عساكر محمود بن سبكتكين إلى طخر، وأنهم يريدون العراق، ويشير بالصلح، واجتماع الكلمة على دفعهم عن البلاد.

ج٧/٣٣٦/ط

فأنفذ أبو كاليجار الكتاب إلى جلال الدولة، وقد سار إلى الأهواز، وأقام ينتظر الجواب، ظناً منه أن جلال الدولة يعود بالكتاب، فلم يلتفت جلال الدولة، ومضى إلى الأهواز فنهبها، وأخذ من دار الإمارة مائتي ألف دينار، وأخذوا ما لا يحصى[١].

ودخل الأكراد والأعراب وغيرهم إلى البلد، فأهلكوا الناس بالنهب والسبي، وأخذت والدة أبي كاليجار، وابنته، وأم ولده، وزوجته، فماتت أمه، وحمل من عداها إلى بغداد.

ولمّا سمع أبو كاليجار الخبر، سار ليلقى جلال الدولة، فتخلّف عنه دبيس بن مزيد، خوفاً على أهله وحلله من خفاجة، والتقى أبو كاليجار وجلال الدولة آخر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين، فاقتتلوا ثلاثة أيام، وانهزم أبو كاليجار، وقتل من أصحابه ألفا رجل، ووصل إلى الأهواز بأسوأ حال، فأتاه العادل بن مافنة بمال، فحسنت حاله، وأما جلال الدولة، فإنه عاد واستولى على واسط، وجعل ابنه العزيز، وأصعد إلى بغداد، ومدحه المرتضى ومهيار وغيرهما، وهنأوه بالظفر[٢].

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٣).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٣).

ذكر حال دبيس بن مزيد بعد الهزيمة

لما عاد دبيس بن مزيد الأسدي، وفارق أبا كاليجار، وصل إلى بلده، وكان قد خالف عليه قوم من بني عمه، ونزلوا الجامعيْن، فأتاهم وقاتلهم، فظفر بهم، وأسر منهم جماعة منهم شبيب، وسرايا، ووهب، بنو حماد بن مزيد، وأبو عبد الله الحسن بن أبي الغنائم بن مزيد، وحملهم إلى الجوسق.

ثم إن المقلّد بن أبي الأغر بن مزيد وغيره اجتمعوا ومعهم عسكر من جلال الدولة، وقصدوا دبيساً وقاتلوه، فانهزم منهم، وأسر من بني عمه خمسة عشر رجلاً، فنزل المعتقلون بالجوسق ـ وهم: شبيب وأصحابه ـ إلى حلله فحرسوها، وسار دبيس منهزماً إلى السندية، إلى نجدة الدولة أبي منصور كامل بن قراد، فاستصحبه إلى أبي سنان غريب بن مقن، حتى أصلح أمره مع جلال الدولة وعسكره، وتكفّل به، وضمن عنه عشرة آلاف دينار سابورية إذا أعيد إلى ولايته، فأجيب إلى ذلك، وخلع عليه، فعرف المقلّد الحال ومعه جمع من خفاجة، فنهبوا مطيراباذ، والنيل، وسورا، أقبح نهب، واستاقوا مواشيها، وأحرقوا منازلها، وعبر المقلّد دجلة إلى أبي الشوك، وأقام عنده إلى أن أحكم أمره.

ذكر عصيان زناتة ومحاربتهم بأفريقية

في هذه السنة تجمعت زناتة، وعاودت الخلاف على المعز بأفريقية، فبلغ ذلك المعز، فجمع عساكره وسار إليهم بنفسه، فالتقوا بموضع يعرف: بحمديس الصابون، ووقعت الحرب بين الطائفتين، واشتد القتال، فانهزمت زناتة، وقتل منهم عدد كثير، وأسر مثلهم، وعاد المعز ظافراً غانماً.

ذكر ما فعله يمين الدولة وولده بعده بالغُزّ

في هذه السنة أوقع يمين الدولة بالأتراك الغزية، وفرّقهم في بلاده؛ لأنهم كانوا قد أفسدوا فيها، وهؤلاء كانوا أصحاب أرسلان بن سلجوق التركي، وكانوا بمفازة بخارى، فلما عبر يمين الدولة النهر إلى بخارى، هرب علي/ تكين صاحبها منه ـ على ما نذكره ـ وحضر أرسلان بن سلجوق عند يمين الدولة، فقبض عليه وسجنه ببلاد الهند، وأسرى إلى خركاهاته، فقتل كثيراً من أصحابه، وسلم منهم خلق كثير، فهربوا منه ولحقوا بخراسان فأفسدوا فيها، ونهبوا هذه السنة، فأرسل إليهم جيشاً، فسبوهم وأجلوهم عن خراسان،

ج٧/٣٣٧/ط

فسار منهم أهل ألفي خركاة، فلحقوا بأصبهان، فكتب يمين الدولة إلى علاء الدولة بإنفاذهم، أو إنفاذ رؤوسهم، فأمر نائبه أن يعمل طعاماً ويدعوهم إليه ويقتلهم، فأرسل إليهم وأعلمهم أنه يريد إثبات أسمائهم ليستخدمهم، وكمن الديلم في البساتين، فحضر جمع كثير منهم، فلقيهم مملوك تركي لعلاء الدولة، فأعلمهم الحال، فعادوا، فأراد نائب علاء الدولة أن يمنعهم من العود، فلم يقبلوا منه، فحمل ديلمي من قوّاد الديلم على إنسان منهم، فرماه التركي بسهم فقتله.

ووقع الصوت بذلك، فخرجت الديلم وانضاف إليهم أهل البلد، فجرى بينهم حرب، فهزموهم، فقلع الترك خركاهاتهم وساروا، ولم يجتازوا على قرية إلاّ نهبوها، إلى أن وصلوا إلى وهسوذان بأذربيجان، فراعاهم وتفقدهم، وبقي بخراسان أكثر ممن قصد أصبهان، فأتوا جبل بلجان ـ وهو الذي عنده خوارزم القديمة ـ فنزل كثير منهم من الجبل إلى البلاد، فنهبوا، وأخربوا، وقتلوا، فجرد محمود بن سبكتكين إليهم أرسلان الجاذب ـ أمير طوس ـ فسار إليهم، ولم يزل يتبعهم نحو سنتين في جموع كثيرة من العساكر، فاضطر محمود إلى قصد خراسان بسببهم، فسار يطلبهم من نيسابور إلى دهستان، فساروا إلى جرجان، ثم عاد عنهم، وجعل ابنه مسعوداً بالري ـ على ما ذكرناه ـ فاستخدم بعضهم ومقدمهم يغمر.

فلمّا مات محمود بن سبكتكين، سار مسعود ابنه إلى خراسان وهم معه، فلمّا ملك غزنة، سألوه فيمن بقي منهم بجبل بلجان، فأذن لهم في العود على شرط الطاعة والاستقامة.

ثم إنّ مسعوداً قصد بلاد الهند عند عصيان أحمد ينالتكين، فعاودوا الفساد، فسَيَّر تاش فراش في عسكر كثير إلى الري لأخذها من علاء الدولة، فلمّا بلغ نيسابور، ورأى سوء فعلهم، دعا مقدميهم، وقتل منهم نيفاً وخمسين رجلاً ـ فيهم: يغمر ـ فلم ينتهوا، وساروا إلى الري، وبلغ مسعوداً ما هم عليه من الشر والفساد، فأخذ حللهم، وسيَّرها إلى الهند، وقطع أيدي كثير منهم وأرجلهم، وصلبهم[1].

هذه أخبار عشيرة أرسلان بن سلجوق، وأمّا أخبار طغرلبك، وداود، وأخيهما بيغو، فإنهم كانوا بما وراء النهر، وكان من أمرهم ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى؛ لأنّهم

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٥٢، ٤٥٣).

صاروا ملوكاً تجيء أخبارهم على السنين.

ولما أوقع تاش فراش ـ حاجب السلطان مسعود ـ بالغز، ساروا إلى الري يزعمون أنهم يريدون أذربيجان، واللحاق بمن مضى منهم أولاً إلى هناك ـ ويسمون: العراقية ـ وكان اسم أمراء هذه الطائفة: كوكتاش، وبوقاء، وقزل، ويغمر، وناصغلي[1].

فوصلوا إلى الدامغان، فخرج إليهم عسكرها وأهل البلد ليمنعوهم عنه، فلم يقدروا، فصعدوا الجبل وتحصّنوا به، ودخل الغز البلد ونهبوه، وانتقلوا إلى سمنان، ففعلوا فيها مثل ذلك، ودخلوا خوار الري، ففعلوا مثله، ونهبوا إسحاق أباذ وما يجاورها من القرى، وساروا إلى مشكويه من أعمال الري فنهبوها.

وتجهّز أبو سهل الحمدوني وتاش فراش، وكاتبا الملك مسعوداً، وصاحب جرجان وطبرستان بالحال، وطلبا النجدة، وأخذ تاش ثلاثة آلاف فارس، وما عنده من الفيلة والسلاح، وسار إلى الغز ليواقعهم، وبلغهم خبره، فتركوا نساءهم، وأموالهم، وما غنموا من خراسان، وهذه البلاد المذكورة، وساروا جريدة، فالتقوا فركب تاش الفيل، ووقعت الحرب بين الفريقين، فكانت أولاً لتاش.

ثم إن الغز أسروا مقدم الأكراد الذين مع تاش، وأرادوا قتله، فقال لهم: استبقوني حتى آمر الأكراد الذين مع تاش بترك قتالكم، فتركوه، وعاهدوه على إطلاقه،/ فأرسل إلى الأكراد يقول لهم: إن قاتلتم قتلت، ففتروا في القتال، وحملت الغز وكانوا خمسة آلاف على تاش فراش وعسكره، فانهزم الأكراد، وثبت تاش وأصحابه، فقتل الغز الفيل الذي تحته، فسقط فقتلوه وقطعوه أخذاً بثار من قتل منهم، وقتل معه عدد كثير من الخراسانية وأكابر القوّاد، وغنموا بقية الفيلة وأثقال العسكر، وساروا إلى الري، فاقتتلوا هم وأبو سهل الحمدوني ومن معه من الجند وأهل البلد، فصعد هو ومن معه قلعة طبرك، ودخل الغز البلد، ونهبوا عدّة محال نهباً، واجتاحوا الأموال، ثم اقتتلوا هم وأبو سهل، فأسر منهم ابن أخت ليغمر أمير الغز، وقائداً كبيراً من قوّادهم، فبذلوا فيهما إعادة ما أخذوا من عسكر تاش، وإطلاق الأسرى، وحمل ثلاثين ألف دينار فقال: لا أفعل إلا بأمر السلطان.

ج٧/٣٣٨/ط

وخرج الغز عن البلد، ووصل عسكر من جرجان، فلمّا قربوا من الري، سار إليهم الغز، فكبسوهم وأسروا مقدمهم، وأسروا معه نحو ألفي رجل، وانهزم الباقون وعادوا،

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٥٢).

وكان هذا سنة سبع وعشرين وأربعمائة.

ذكر وصول علاء الدولة إلى الري واتفاقه مع الغز وعودهم إلى الخلاف عليه

لمّا فارق الغز الري إلى أذربيجان، علم علاء الدولة ذلك، فسار إليها ودخلها، وهو يظهر طاعة السلطان مسعود بن سبكتكين، فأرسل إلى أبي سهل الحمدوني يطلب منه أن يقرّر الذي عليه بمال يؤدّيه، فامتنع من إجابته مخافة علاء الدولة، فأرسل إلى الغز يستدعيهم، ليعطيهم الإقطاع، ويتقوّى بهم على الحمدوني، فعاد منهم نحو ألف وخمسمائة مقدمهم قزل، وسار الباقون إلى أذربيجان.

فلمّا وصل الغز إلى علاء الدولة، أحسن إليهم وتمسّك بهم، وأقاموا عنده، ثم ظهر على بعض القوّاد الخراسانية الذين عنده أنه دعا الغز إلى موافقته على الخروج عليه والعصيان، فأرسل إليه علاء الدولة وأحضره، وقبض عليه وسجنه في قلعة طبرك، فاستوحش الغز لذلك ونفروا، فاجتهد علاء الدولة في تسكينهم، فلم يفعلوا، وعاودوا الفساد والنهب وقطع الطريق، وعاد علاء الدولة راسل أبا سهل الحمدوني - وهو بطبرستان - وقرّر معه أمر الري، ليكون في طاعة مسعود، فأجابه إلى ذلك، وسار إلى نيسابور وبقي علاء الدولة بالري[1].

ذكر ما كان من الغز الذين بأذربيجان ومفارقتها

قد ذكرنا أن طائفة من الغز وصلوا إلى أذربيجان، فأكرمهم وهسوذان وصاهرهم، رجاء نصرهم وكفّ شرهم، وكان أسماء مقدميهم: بوقا، وكوكتاش، ومنصور، ودانا، وكان ما أمله بعيداً، فإنّهم لم يتركوا الشر، والفساد، والقتل، والنهب، وساروا إلى مراغة، فدخلوها سنة تسع وعشرين[2].

وأحرقوا جامعها، وقتلوا من عوامها مقتلة كثيرة، ومن الأكراد الهذبانية كذلك، وعظم الأمر واشتد البلاء.

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٤).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٦٠٥).

فلمّا رأى الأكراد ما حلّ بهم وبأهل البلاد، شرعوا في الصلح والاتفاق على دفع شرهم، فاصطلح أبو الهيجاء بن ربيب الدولة ووهسوذان صاحب أذربيجان واتفقت كلمتهما، واجتمع معهما أهل تلك البلاد، فانتصفوا من الغز، فلمّا رأوا اجتماع أهل البلاد على حربهم، انصرفوا عن أذربيجان وتعذر عليهم المقام بها، ثم إنّهم افترقوا، فسارت طائفة إلى الذين على الري ومقدمهم: بوقا.

وسارت طائفة منهم ـ ومقدمهم: منصور وكوكتاش ـ إلى همذان فحصروها ـ وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه ـ فاتفق هو وأهل البلاد على قتالهم ودفعهم عن أنفسهم وبلدهم، فقتل بين الفريقين جماعة كثيرة، وطال مقامهم على همذان، فلمّا رأى أبو كاليجار بن علاء الدولة ذلك، وضعفه عن مقاومتهم، راسل كوكتاش وصالحه وصاهره، وأمّا الذين قصدوا الري، فإنّهم حصروها وبها علاء الدولة بن كاكويه/ ، واجتمع معهم فناخسرو بن مجد الدولة، وكامر، والديلمي صاحب ساوة، فكثر جمعهم واشتدّت شوكتهم. ج٧/٣٣٩/ط

فلمّا رأى علاء الدولة أنهم كلما جاء أمرهم ازداد قوة وضعف هو، خاف على نفسه، وفارق البلد في رجب ليلاً، ومضى هارباً إلى أصبهان، وأجفل أهل البلد وتمزّقوا، وعدلوا عن القتال إلى الاحتيال للهرب، وغاداهم الغز من الغد بالقتال، فلم يثبتوا لهم، ودخلوا البلد ونهبوا نهباً فاحشاً وسبوا النساء، وبقوا كذلك خمسة أيام، حتّى لجأ الحرم إلى الجامع، وتفرّق الناس في كل مذهب ومهرب، وكان السعيد من نجا بنفسه، وكانت هذه الوقعة بعد التي تقدمتها مستأصلة، حتّى قيل: إن بعض الجمع لم يكن بالجامع إلاّ خمسين نفساً.

ولمّا فارق علاء الدولة الري، تبعه جمع من الغز فلم يدركوه، فعدلوا إلى كرج فنهبوها، وفعلوا فيها الأفاعيل القبيحة، ومضى طائفة منهم ـ ومقدمهم: ناصغلي ـ إلى قزوين، فقاتلهم أهلها، ثم صالحوهم على سبعة آلاف دينار وصاروا في طاعته.

وكان بأرمية طائفة منهم، فساروا إلى بلد الأرمن، فأوقعوا بهم وأثخنوا فيهم، وأكثروا القتل وغنموا وسبوا، وعادوا إلى أرمية وأعمال أبي الهيجاء الهذباني، فقاتلهم أكرادها لما أنكروه من سوء مجاورتهم.

فقتل خلق كثير، ونهب الغز سواد البلاد هناك، وقتلوا من الأكراد كثيراً[١].

ذكر ملك الغز همذان

قد ذكرنا حصار الغز همذان وصلحهم مع صاحبها أبي كاليجار بن علاء الدولة بن كاكويه، فلمّا كان الآن وملك الغز الري، عاودوا حصار همذان، وساروا إليها من الري، ما عدا قزل وجماعته، واجتمعوا مع من بها من الغز، فلمّا سمع أبو كاليجار بهم، علم أنه لا قدرة له عليهم، فسار عنها ومعه وجوه التجار وأعيان البلد، وتحصّن بكنكور.

ودخل الغز همذان سنة ثلاثين وأربعمائة، واجتمع عليها من مقدميهم كوكتاش، وبوقا، وقزل، ومعهم فناخسرو بن مجد الدولة بن بويه في عدة كثيرة من الديلم، فلمّا دخلوها نهبوها نهباً منكراً لم يفعلوه بغيرها من البلاد، غيظاً منهم وحنقاً عليهم، حيث قاتلوهم أولاً وأخذوا الحرم، وضربت سراياهم إلى أسداباذ وقرى الدينور، واستباحوا تلك النواحي، وكان الديلم أشدهم، فخرج إليهم أبو الفتح بن أبي الشوك صاحب الدينور، فواقعهم واستظهر عليهم، وأسر منهم جماعة، فراسله أمراؤهم في إطلاقهم، فامتنع الأعلى صلح وعهود، فأجابوه وصالحوه فأطلقهم.

ثم إن الغز بهمذان راسلوا أبا كاليجار بن علاء الدولة وصالحوه، وطلبوا إليه أن ينزل إليهم ليدبّر أمرهم ويصدرون عن رأيه، وأرسلوا إليه زوجته التي تزوجها منهم، فنزل إليهم، فلمّا صار معهم وثبوا عليه، فانهزم ونهبوا ماله، وما كان معه من دواب وغيرها، فسمع أبوه، فخرج من أصبهان إلى أعماله بالجبل ليشاهدها، فوقع بطائفة كثيرة من الغز فظفر بهم، وقتل منهم فأكثر، وأسر منهم، ودخل أصبهان منصوراً[٢].

ذكر قتل الغز بمدينة تبريز وفراقهم أذربيجان إلى الهكارية

في سنة اثنتين وثلاثين، قتل وهسوذان بن مهلان جمعاً كثيراً من الغز بمدينة تبريز، وكان سبب ذلك: أنه دعا جمعاً كثيراً منهم إلى طعام صنعه لهم، فلمّا طعموا وشربوا، قبض على ثلاثين رجلاً منهم من مقدميهم، فضعف الباقون، فأكثر فيهم القتل، فاجتمع

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٦٠٥).
(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٥٧٥).

الغز المقيمون بأرمية، وساروا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل، فقاتلهم أكرادها، وقاتلوهم قتالاً عظيماً، فانهزم الأكراد، وملك الغز حللهم، وأموالهم، ونساءهم، وأولادهم، وتعلّق الأكراد/ بالجبال والمضايق، وسار الغز في أثرهم، فواقعوهم فظفر بهم الأكراد، فقتلوا منهم ألفاً وخمسمائة رجل، وأسروا جمعاً فيه سبعة من أمرائهم ومائة نفس من وجوههم، وغنموا سلاحهم ودوابهم، وما معهم من غنيمة استردوها، وسلك الغز طريق الجبال، فتمزّقوا وتفرّقوا، وسمع ابن ربيب الدولة الخبر، فسيَّر في آثارهم مَنْ يفني باقيهم. ج٧/٣٤٠/ط

ثم توفي قزل أمير الغز المقيم بالري، وخرج إبراهيم ينال أخو السلطان طغرلبك إلى الري، فلمّا سمع به الغز المقيمون بها، أجفلوا من بين يديه، وفارقوا بلاد الجبل خوفاً منه، وقصدوا ديار بكر والموصل في سنة ثلاث وثلاثين.

ذكر دخول الغز ديار بكر

في سنة ثلاث وثلاثين، فارق الغز أذربيجان، وسبب ذلك: أن إبراهيم ينال ـ وهو: أخو طغرلبك ـ سار إلى الري، فلمّا سمع الغز الذين بها خبره، أجفلوا من بين يديه، وفارقوا بلاد الجبل خوفاً منه، وقصدوا أذربيجان، ولم يمكنهم المقام بها لما فعلوا بأهلها، ولأن إبراهيم ينال وراءهم، وكانوا يخافونه؛ لأنّهم كانوا له ولأخويه: طغرلبك وداود رعية، فأخذوا بعض الأكراد وعرفهم الطريق، فأخذ بهم في جبال وعرة على الزوزان، وخرجوا إلى جزيرة ابن عمر، فسار بوقا وناصغلي وغيرهما إلى ديار بكر، ونهبوا قردى، وبازبدي، والحسنية، وفيشابور، وبقي منصور بن غزغلي بالجزيرة من الجانب الشرقي، فراسله سليمان بن نصر الدولة بن مروان المقيم بالجزيرة في المصالحة، والمقام بأعمال الجزيرة، إلى أن ينكشف الشتاء ويسير مع باقي الغز إلى الشام، فتصالحا وتحالفا، وأضمر سليمان الغدر به، فعمل له طعاماً احتفل فيه ودعاه، فلمّا دخل الجزيرة، قبض عليه وحبسه، وانصرف أصحابه متفرقين في كل جهة.

فلمّا علم بذلك قرواش، سيَّر جيشاً كثيفاً إليهم، واجتمع معهم الأكراد البشنوية أصحاب فنك، وعسكر نصر الدولة، فتبعوا الغز فلحقوهم وقاتلوهم، فبذل الغز جميع ما غنموه على أن يؤمنوهم، فلم يفعلوا، فقاتلوا قتال من يخاف الموت، فجرحوا من العرب كثيراً وافترقوا.

وكان بعض الغز قد قصد نصيبين وسنجار للغارة، فعادوا إلى الجزيرة وحصروها، وتوجّهت العرب إلى العراق ليشتوا بها، فأخربت الغز ديار بكر، ونهبوا وقتلوا، فأخذ نصر الدولة منصوراً أمير الغز من ابنه سليمان، وراسل الغز وبذل لهم مالاً وإطلاق منصور ليفارقوا عمله فأجابوه، فأطلق منصوراً وأرسل بعض المال، فغدروا وزادوا في الشر، وسار بعضهم إلى نصيبين، وسنجار، والخابور، فنهبوا وعادوا، وسار بعضهم إلى جهينة وأعمال الفرج فنهبوها، فدخل قرواش الموصل خوفاً منهم[١].

ذكر ملك الغز مدينة الموصل

لمّا خرجوا من أذربيجان إلى جزيرة ابن عمر ، وهي: من أعمال نصر الدولة بن مروان، سار بعضهم إلى ديار بكر مع أمرائهم المذكورين، وسار الباقون إلى البقعاء ونزلوا برقعيد[٢].

فأرسل إليهم قرواش صاحب الموصل من ينظر فيهم ويغير عليهم، فلمّا رأوا ذلك، تقدّموا إلى الموصل، فأرسل إليهم يستعطفهم ويلين لهم، وبذل لهم ثلاثة آلاف دينار، فلم يقبلوا، فأعاد مراسلتهم ثانية، فطلبوا خمسة عشر ألف دينار، فالتزمها وأحضر أهل البلد وأعلمهم الحال، فبينما هم مهتمين بجمع المال، وصل الغز إلى الموصل ونزلوا بالحصباء، فخرج إليهم قرواش وأجناده والعامة، فقاتلوهم عامة نهارهم، وأدركهم الليل فافترقوا.

فلمّا كان الغد، عادوا إلى القتال، فانهزمت العرب وأهل البلد، وهرب قرواش في سفينة نزلها من داره، وخرج من جميع ماله إلا الشيء اليسير، ودخل الغز البلد، فنهبوا كثيراً منه، ونهبوا جميع ما لقرواش من مال، وجوهر، وحلي، وثياب، وأثاث، ونجا قرواش في السفينة/ ومعه نفر، فوصل إلى السن وأقام بها. ج٧/٣٤١/ط

وأرسل إلى الملك جلال الدولة يعرفه الحال ويطلب النجدة، وأرسل إلى دبيس بن مزيد وغيره من أمراء العرب والأكراد، يستمدّهم ويشكو ما نزل به، وعمل الغز بأهل الموصل الأعمال الشنيعة من الفتك، وهتك الحريم، ونهب المال، وسلم عدة محال منها: سكة أبي نجيح، والجصاصة، وجار سوك، وشاطىء نهر، وباب القصابين على مال ضمنوه، فكفّوا عنهم[٣].

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣٨١، ٣٨٢).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣١٢).

(٣) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣١٢).

ذكر وثوب أهل الموصل بالغز وما كان منهم

قد ذكرنا ملك الغز الموصل، فلمّا استقروا فيها، قسطوا على أهلها عشرين ألف دينار وأخذوها، ثم تتبعوا الناس وأخذوا كثيراً من أموالهم بحجّة أموال العرب، ثم قسطوا أربعة آلاف دينار أخرى، فحضر جماعة من الغز عند ابن فرغان الموصلي، وطالبوا إنساناً بحضرته، وأساؤوا الأدب والقول، وجرى بين بعض الغز وبعض المواصلة مشاجرة، فجرحه الغز وقطع شعره.

وكان للموصلي والدة سليطة، فلطّخت وجهها بالدم، وأخذت الشعر بيدها، وصاحت: المستغاث بالله وبالمسلمين، قد قتل لي ابن وهذا دمه، وابنة وهذا شعرها، وطافت في الأسواق، فثار الناس وجاؤوا إلى ابن فرغان، فقتلوا من عنده من الغز، وقتلوا من ظفروا به منهم، ثم حصروهم في دار، فقاتلوا من سطحه، فنقب الناس عليهم الدار، وقتلوهم جميعهم غير سبعة أنفس، منهم: أبو علي ومنصور، فخرج منصور إلى الحصباء، ولحق به من سلم منهم.

وكان كوكتاش قد فارق الموصل في جمع كثير، فأرسلوا إليه يعلمونه الحال، فعاد إليهم، ودخل البلد عنوة في الخامس والعشرين من رجب سنة خمس وثلاثين، ووضعوا السيف في أهله، وأسروا كثيراً، ونهبوا الأموال، وأقاموا على ذلك اثني عشر يوماً يقتلون وينهبون، وسلمت سكة أبي نجيح، فإنّ أهلها أحسنوا إلى الأمير منصور، فرعى لهم ذلك، والتجأ من سلم إليها، وبقي القتلى في الطريق، فأنتنوا لعدم مَنْ يواريهم، ثم طرحوا بعد ذلك كل جماعة في حفيرة، وكانوا يخطبون للخليفة ثم لطغرلبك.

ولمّا طال مقامهم بهذه البلاد، وجرى منهم ما ذكرناه، كتب الملك جلال الدولة بن بويه إلى طغرلبك يعرفه ما يجري منهم، وكتب إليه نصر الدولة بن مروان يشكو منهم، فكتب إلى نصر الدولة يقول له: بلغني أنّ عبيدنا قصدوا بلادك، وأنك صانعتهم بمال بذلته لهم، وأنت صاحب ثغر، ينبغي أن تعطي ما تستعين به على قتال الكفار، ويعده أنه يرسل إليهم يرحلهم من بلده، وكانوا يقصدون بلاد الأرمن، وينهبون ويسبون، حتّى إن الجارية الحسناء بلغت قيمتها خمسة دنانير[1].

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣١٤).

وأمّا الغلمان، فلا يرادون، وكتب طغرلبك إلى جلال الدولة يعتذر بأنّ هؤلاء التركمان كانوا لنا عبيداً، وخدماً، ورعايا، وتبعاً يمتثلون الأمر، ويخدمون الباب، ولمّا نهضنا لتدبير خطب آل محمود بن سبكتكين، وانتدبنا لكفاية أمر خوارزم.

انحازوا إلى الري، فعاثوا فيها وأفسدوا، فزحفنا بجنودنا من خراسان إليهم، مقدرين أنهم يلجؤون إلى الأمان، ويلوذون بالعفو والغفران، فملكتهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة، ولا بد من أن نردهم إلى راياتنا خاضعين، ونذيقهم من بأسنا جزاء المتمردين، قربوا أم بعدوا، أغاروا أم أنجدوا.

ذكر ظفر قرواش صاحب الموصل بالغز

قد ذكرنا انحدار قرواش إلى السن، ومراسلته سائر أصحاب الأطراف في طلب النجدة منهم، فأمّا الملك جلال الدولة، فلم ينجده لزوال طاعته عن جنده الأتراك، وأمّا دبيس بن مزيد، فسار إليه واجتمعت عليه كافة عقيل، وأتته أمداد أبي الشوك وابن ورام وغيرهما، فلم يدركوا الوقعة، فإن قرواشاً لمّا اجتمعت عقيل/ ودبيس عنده، سار إلى الموصل وبلغ الخبر إلى الغز، فتأخروا إلى تلعفر وبومارية وتلك النواحي، وراسلوا الغز الذين كانوا بديار بكر، ومقدمهم: ناصغلي وبوقا، وطلبوا منهم المساعدة على العرب، فساروا إليهم. ج٧/٣٤٢ط

وسمع قرواش بوصولهم، فلم يعلم أصحابه لئلاّ يفشلوا ويجبنوا، وسار حتى نزل على العجاج، وسارت الغز، فنزلوا برأس الإبل من الفرج وبينهما نحو فرسخين، وقد طمع الغز في العرب، فتقدّموا حتّى شارفوا حلل العرب، ووقعت الحرب في العشرين من شهر رمضان من أول النهار، فاستظهرت الغز وانهزمت العرب، حتى صال القتال عند حللهم ونساؤهم يشاهدن القتال، فلم يزل الظفر للغز إلى الظهر.

ثم أنزل الله نصره على العرب، وانهزمت الغز وأخذهم السيف، وتفرّقوا وكثر القتل فيهم، فقتل ثلاثة من مقدميهم، وملك العرب حلل الغز وخركاهاتهم، وغنموا أموالهم، فعمّتهم الغنيمة، وأدركهم الليل فحجز بينهم.

وسيّر قرواش رؤوس كثير من القتلى في سفينة إلى بغداد، فلمّا قاربتها، أخذتها الأتراك ودفنوها، ولم يتركوها تصل أنفة وحميّة للجنس، وكفى الله أهل الموصل شرهم، وتبعهم قرواش إلى نصيبين، وعاد عنهم، فقصدوا ديار بكر فنهبوها، ثم مالوا على الأرمن

والروم فنهبوهم، ثم قصدوا بلاد أذربيجان[١].

وكتب قرواش إلى الأطراف يبشّر بالظفر بهم، وكتب إلى ابن ربيب الدولة صاحب أرمية، يذكر له أنه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل، فقال للرسول: هذا عجيب، فإن القوم لمّا اجتازوا ببلادي، أقمت على قنطرة لا بد لهم من عبورها، فأمرت بعدهم، فكانوا نيفاً وثلاثين ألفاً مع لفيفهم، فلمّا عادوا بعد هزيمتهم، لم يبلغوا خمسة آلاف رجل، فأما أن يكونوا قتلوا، أو هلكوا، ومدح الشعراء قرواشاً بهذا الفتح، وممن مدحه: ابن شبل بقصيدة، منها:

بأبي الذي أرست نزار بيتها ... في شامخ من عزة المتخير

وهي طويلة. هذه أخبار الغز العراقيين، وإنما أوردناها متتابعة؛ لأن دولتهم لم تطل حتى نذكر حوادثها في السنين، وإنما كانت سحابة صيف تقشعت عن قريب. وأما السلجوقية، فنحن نذكر حوادثهم في السنين، ونذكر ابتداء أمرهم سنة اثنتين وثلاثين، إن شاء الله تعالى.

ذكر عدة حوادث

وفي هذه السنة سيَّر الظاهر جيشاً من مصر، مقدمهم: أنوشتكين الدزبري، فقتل صالح بن مرداس، وملك نصر بن صالح مدينة حلب، وقد تقدّم ذكره، في سنة اثنتين وأربعمائة[٢].

وفيها سقط في البلاد برد عظيم، وكان أكثره بالعراق، وارتفعت بعده ريح شديدة سوداء، فقلعت كثيراً من الأشجار بالعراق، فقلعت شجراً كباراً من الزيتون من شرقي النهروان، وألقته على بعد من غربيها، وقلعت نخلة من أصلها، وحملتها إلى دار بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دور، وقلعت سقف مسجد الجامع ببعض القرى[٣].

وفيها، في ذي القعدة، تولى أبو عبد الله بن ماكولا قضاء القضاة[٤].

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٣١٣).

(٢) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٨).

(٣) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٧)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٢٠ هـ) (٢٦٦)، وذكره أيضاً في «العبر في خبر من غبر» (٣/ ١٣٣)، وذكره أيضاً في «دول الإسلام» (١/ ٢٤٩)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٩٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٢٠١)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٢٠ هـ) (٢٧٠).

الوفيات

وفيها توفي أبو الحسن علي بن عيسى الربعي، النحوي، عن نيف وتسعين سنة، وأخذ النحو عن أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي، وكان فكهاً كثير الدعابة، فمن ذلك: أنه كان يوماً على شاطىء دجلة ببغداد، والملك جلال الدولة، والمرتضى والرضي كلاهما/ في سمارية، ومعهما عثمان بن جنّي النحوي، فناداه الربعي: أيها الملك، ما أنت صادق في تشيعك بعلي بن أبي طالب، يكون عثمان إلى جانبك وعلي - يعني: نفسه - ههنا، فأمر بالسمارية، فقربت إلى الشاطىء وحمله معه[1]. ج٧/٣٤٣/ط

وقيل: إن هذا القول كان للشريف الرضي وأخيه المرتضى، ومعهما عثمان بن جِنّي، فقال: ما أعجب أحوال الشريفين، يكون عثمان معهما، وعلي يمشي على الشط.

وفيها أيضاً توفي أبو المسك عنبر، الملقب: بالأثير، وكان قد أصعد إلى الموصل مغاضباً لجلال الدولة، فلقيه قرواش وأهله، وقبّلوا الأرض بين يديه، فأقام عندهم، وكان خصياً لبهاء الدولة بن بويه، وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً، لم يخل أمير ولا وزير في دولة بني بويه من تقبيل يده والأرض بين يديه، وكان قد استقر بينه وبين قرواش وأبي كاليجار قاعدة أن يصعد أبو كاليجار من واسط، وينحدر الأثير وقرواش من الموصل لقصد جلال الدولة، وكان الأثير قد انحدر من الموصل، فلمّا وصل مشهد الكحيل توفي فيه.

وفيها انقضّ كوكب عظيم كالرعد، في رجب، أضاءت منه الأرض، وسمع له صوت عظيم كالرعد، وتقطع أربع قطع، وانقض بعده بليلتين كوكب آخر دونه، وانقض بعدهما كوكب أكبر منهما وأكثر ضوءاً[2].

وفيها كانت ببغداد فتنة، قوي فيها أمر العيارين واللصوص، فكانوا يأخذون العملات ظاهراً[3].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٢٠٣)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (وفيات سنة: ٤٢٠ هـ) (٤٨٦)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٦٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٩٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٦٨)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٢٠ هـ) (٢٦٧).

(٣) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ١٩٧)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٢٠ هـ) (٢٦٧)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٦٨).

وفيها قطعت الجمعة من جامع براثا، وسببها: أنه كان يخطب فيها إنسان يقول في خطبته: بعد الصلاة على النبي وعلى أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، مكلم الجمجمة، ومحييها البشري الإلهي، مكلم الفتية أصحاب الكهف، إلى غير ذلك من الغُلَو المبتدع، فأقام الخليفة خطيباً، فرجمه العامة، فانقطعت الصلاة فيه، فاجتمع جماعة من أعيان الكرخ مع المرتضى، واعتذروا إلى الخليفة بأن سفهاء لا يعرفون فعلوا ذلك، وسألوا إعادة الخطبة، فأجيبوا إلى ما طلبوا، وأعيدت الصلاة والخطبة فيه[١].

وفيها توفي ابن أبي الهبيش الزاهد المقيم بالكوفة، وهو: من أرباب الطبقات العالية في الزهد، وقبره يزار إلى الآن، وقد زرته[٢].

ج٧/٣٤٤/ط وفيها توفي منوجهر بن قابوس بن وشمكير، وملك ابنه أنوشروان[٣]/.

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٢٠١)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٦٨)، وذكره الذهبي في «تاريخ الإسلام» (حوادث سنة: ٤٢٠ هـ) (٢٦٨ ـ ٢٧٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥/ ٢٠٢)، وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٢/ ٤٦٩).

(٣) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٥٧)، وذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٣٢٨).